الخِطاب الحِجاجيّ وتَمظهُراتُه البلاغيةُ في حِكم ومَواعظ الإمامِ الكاظم عليه السلام

فاطمة تنها
خريجة دكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد مدني بأذربيجان، تبريز، إيران
k.tanha68@gmail.com

The discourse of argument and its features of eloquence in the Sermons and Prayer of Imam Al Kazem

Fateme Tanha
PhD Graduate of Arabic Language and Literature , Azarbaijan
Shahid Madani University , Iran

الملخص:

إنّ نظريةَ الحجاج نظريةٌ لسانيةٌ تنطلق من كون الإنسانِ يتكلّم بغية الوصول إلى الإقناع والتأثير عَن طريق اللغة الّتي تحمل في طياتها وظيفةً حجاجيةً. وقد ارتبطت هذه النظريةُ بالبلاغة باعتبار أنّ فكرةَ الحجاج هي فكرةٌ بلاغيةٌ تكمنُ أهميتها فيما يولده المتكلمُ من تأثير في المتلقي بالصورة الجمالية واللغة والإيقاع، وفيها يمزج بين الإقناع والإمتاع. قد تناولت هذه الدراسة موضوعَ الحِجاج والإقناع في ((حِكم ومَواعظ الإمام الكاظم عليه السلام)) لإبراز فعاليته في خطاب الإمام عليه السلام والتأثير على المتلقي وإقناعه وانبعاث مشاعره عبر امتزاج القوي العقلانية بالأساليب الإقناعية البلاغية المتميّزة وأيضا عرض جانب آخَر من بلاغته وأسلوبه الفريد في كلماته متكأة على المنهج الوصفي -التحليلي من خلال أهم الآليات البلاغية الثلاثة (المعاني والبيان والبديع). من خلال الأمثلة التي تناولناها بالدراسة في حكم ومواعظ الإمام عليه السلام، نستنتج أنّ كلماته تزخر بأنواع مختلفة من الحجج الّتي تشكل الحجر الأساس في الخطاب الحجاجي عنده، ودخول بنية الحجاج البلاغي والإقناعي في كلامه أثبتت استدلالاته بقوّة عند المتلقي. فقد اعتمد الإمام عليه السلام أحياناً على الآليات البلاغية كالأساليب الخبرية والإنشائية تشمل على الاستفهام والأمر والنهي والتأكيد والشرط والنداء، والتشبيه، والطباق، وكلّ هذه الآليات لها دورة كبيرة في إقناع المتلقي وتحقيق أثر مخصوص في نفسيته إضافةً على إيجاد نظرة عميقة لقارئ كلمات الإمام عليه السلام وتمنحه انطباعاً جديداً اتّجاه هذه الحكم والمواعظ القيّمة وتنقله إلى حالة من التفكير وتثوير مشاعره.

الكلمات المفتاحية: الإقناع، الخطاب الحِجاجي، البلاغة، حِكم ومَواعظ الإمام موسى بن جعفر.

ABSTRACT:-

Argumentation theory is hte lingual theory that pursues specific aim and by inciting the feelings of the audience has always been impacting them. Convincing the audience by employing methods of persuasion and argument in the discourse, is one of the most important ways to achieve discourse purposes. the purpose of argument or reasoning is to apply the eloquence patterns in a form of embellishing of meaning, which will have the effect on the audience .This study has written in a descriptive-analytic form and it is up to handling the usefulness of eloquence argument in the Sermons and Prayer of Imam Al Kazem and put the most important mechanisms of eloquence persuasion in this Sermins and appears that Sermons and Prayer in his discourse applies different methods of persuasion and reasoning like: method of interrogation, command, accent,condition, prohibition, simile and conflict. These techniques are effective in satisfying the audience and it causes to have a deep understanding of the Imam's words nad Stimulates his thoughts and feelings.

Key words: satisfying, discourse of argument, eloquence, Sermons and Prayer of Imam Al Kazem.

١. المقدمة:ـ

يُعدُّ الحِجاج من بين أهم النظريات التي تهتم بها التداولية، وهو يركز أساساً على دراسة الطريقة والأسلوب اللذين يتبناهما المتكلّم للتغيير من معتقدات المتلقي وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله إليه، كالإشارات والعبارات والحجج إذ إنّه لا يمكن لأي مخاطبٍ سواء كان شاعراً أم ناثراً أن يستغني عَن هذا الأسلوب الّذي يهدف إلى استهواء المتلقي واستمالته، ونجده أيضاً في حياتنا اليومية، الّتي تبني كلياً على الأدلة والحجج أثناء التواصل وهذا المصطلح له جذور عريقة في التاريخ، إذ أنَ أول ظهور له كان في البلاغة اليونانية عند سقراط وأفلاطون وأرسطو، ثمّ ظهر في الدراسات المعاصرة. شكل الحِجاجُ في العصر الحديث حلقةَ وصلٍ بين علوم شتي تتجاذبه، منها البلاغة الّتي عنيت بالحِجاج من منظور منطقيّ، وكان ذلك على يد شاييم بيرلمان الّذي حاول بعثَ البلاغة القديمة من زاوية جديدة ترتكز في أساسها على الحجاج فسُمّيت هذه البلاغة بـ"البلاغة الجديدة". أشار ابن منظور في تعريفه لجذور الحجاج إلى أن ((الحج: القصد، حج إلينا فلان؛ أي قدم وحجه يحجه، قصده ورجل محجوج؛ أي مقصود وقد حج فلان فلانًا إذا أطال الاختلاف إليه)) (ابن منظور، ١٩٩٢: مادة ح ج ج) وفي موطن آخر ((الحجة: البرهان، وقيل الحجة ما دوفع به الخصم...والحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وجمع الحجة حجج وحجاج، وحاجه محاجة وحجاجًا نازعَه الحجة والحجة الدليل والبرهان، وهو رجل محجاج أي جدل)) (السابق). وجاء عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: ((يقال حاججتُ فلانًا فحججتُه أي غلبتُه بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حُجج، والمصدر الحِجاج)) (ابن فارس، ٢٠٠١: ٢٣٢).

يقول أرسطو: ((إنَّ ريطورية (يعني الخطابة) ترجع إلى الديالقطيقية (أي صناعة الجدل) وكلتاهما توجد من أجل شيء واحد (الإقناع))) (طاليس، ١٩٧٩: ٣). وقد جعل الحجاجَ قاسماً مشتركاً بين الخطاب والجدل حيث ((وذلك أنَّ الخطابة بالمفهوم اليوناني أو Rhetorique لما ترجمها العربُ القدامي هي فن الإقناع عن طريق الخطاب وأنّ الوظيفة الإقناعية هي وظيفتها الأولى والأساسيّة)) (الدريدي، ٢٠٠٨: ١٧). فقد أولي أرسطو دوراً هاماً للبلاغة لِكونها وسيلة الإقناع، وجعل الحجاج بؤرة الخطاب وربط بينه وبين الجدل

وأكد العلاقة بينهما، باعتبار أنّ الحجاجَ:((سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة أو الطريقة الّتي تطرح بها الأدلة)) (السابق: ١٨). فالحجاج الجدلي في هذا المنظور يرتكز على العقل، ويكون بين شخصين، يحاول كلٌ منهُما إقناع الآخر برأيه ومجموع الأدلة والحجج الّتي يقدمها المتكلّم في حديثه للتأثير في أفكار السامع ومعتقداته، ولكن في الخطاب الحجاجي يحاول توجيهَ الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنعه، فهو حجاج موجه للجماهير (السابق: ٥٥-٥٤). مما سبق من تعريفات لأصحاب اللغة؛ يتضح أنَّ الحِجاج عملية تشاركية تخاطبية بين المتكلم والسامع حول قضية معينة؛ يحاول كلّ واحد منهما الغلبةَ على خصمه بتقديم الحجة والبرهان. هو نسقٌ يشكل العلاقةَ الوثيقةَ بين المرسل والمتلقي والمقام؛ فالهدفُ إذن في العملية الحجاجية إشراك المتلقي فيما يعتقده المرسلُ؛ ولهذا لا يذهب الظنّ بالقارئ أنّ المرسلَ يرسل خطابَه إلى المتلقيّ جزافاً دونَ قصد، إذاً إنّ من وراء هذا الإرسال هدفاً، هو التّأثيرُ والإقناعُ والاستمالةُ عن طريق اللغة أو سواها من وسائل الاتّصال الأخرى، فهو ((ليس سوي دراسة لطبيعة العقول، ثمّ اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها، ثمّ محاولة حيازة انسجامها الايجابي والتحامها مع الطرح المقدم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان؛ فإنّ الحجاج يكون بلا غاية ولا تأثير)) (محمد الأمين، ٢٠٠٠:٦٨). فَ((الحجاج هو عمليّة تواصليّة بين ذوات يطمح كلّ منها إلى إيصال الآخر إلى أقصى غاية إقناعية ممكنة عبر وسائل وأدوات منطقية وبلاغية ولغوية كفيلة بإحداث التأثير والتوجيه والإقناع من خلال التفنيد أو الحثّ أو الدّعم دون تعسّف أو إكراه. والحجاج عنوانٌ كبيرٌ لممارسات فكرية نشطة تسري إلى كافّة مناحي الحياة وعند الجميع مِن أبسط الناس مستوي إلى أكثرهم لدداً وقوّة في الخصومة)) (الزبيدي،٢٠١٧: ٣٣٤). تكمن أهميّة الوسائل البلاغية في تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه، فإنْ انضافَت الجماليةُ إلى حجج متنوعة، وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام، وتصل بين أقسامه أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب، فالخطاب لا غني له عن الجمال الذي يرفد العلمية الإقناعية ويُيسر على المتكلّم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المخاطَب والفعل فيه ومن ثمة لا يستطيع الحجاج أن يستغني عن البلاغة، فالآليات البلاغية تنمي قدرة المتكلم على الإقناع (يسعد وزميلته،٢٠١٧: ٦).

قد كان أسلوب الخطاب عند الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مراعياً مستوي التفكير المختلف تبعاً لفكر الآخر ونمط شخصيته تتباين بين شخصية تميل للمنطق وأخري للعاطفة

وثالثة للحجاج والمجادلة، فالخطاب الإمام عليه السلام خطاب إقناع وتأثير، ولقد بيّن في كلماته وحكمه كلَّ المحاور الدينيّة والعناصر الفكريّة والأسس العقائديّة الصلبة وفيها أسلوبٌ لغويٌ مقنعٌ وجادٌ يخاطب كل العقول وتؤثر في كلّ النفوس وتهدف إلى إقناع الآخر. إذن قُمنا بدراسة نماذجٍ مِن حِكم ومواعظ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لاسيّما وصيّته لهشام ووصفه للعقل ودراسة الحكم و المواعظ الّتي سجلها الإمام عليه السلام أثناء الوصية وبين طياتها تحت إطار نظرية الحجاج البلاغيّ وإبراز فعاليتها في تحقيق خطاب الإمام عليه السلام من جانبه الإقناعي والحجاجي واعتمدنا فيها المنهجَ الوصفي-التحليلي باحثين عن أهمّ العوامل الحجاجية والأساليب البلاغية المعتمدة. وسنحاول أن نجيبَ عن هذين السؤالين:

- ما هي تقنيات الحجاج المستعملة في نص الإمام عليه السلام؟
- ما مدى فعالية تلك التقنيات في نجاح العملية الحجاجية وتحقيق الهدف من إلقائها؟

١-١. فرضيتا البحث:

- يبدو أنّ الإمام زاوجَ في كلماته بين تقنيات البلاغية (المعانية، والبيانية والبديعية) مقروناً بالاستدلالات المقنعة الّتي تدلّ على فراسته الكلاميّة وقوّة بلاغته القرآنية أسلوبياً.
- يبدو أنّ كلَّ الآليات البلاغية المستخدمة في نصّه لَها الأثرُ الفاعلُ في تعزيز الحجاج والتّأثير في المتلقيّ ولقد نجح الإمام في توظيف هذه التقنيات الخطابية الّتي تؤدي بالذّهن إلى التسليم بما يعرض عليه من أفكار ولها من فوائدٍ حجاجيةٍ ودلالاتٍ ومعانٍ عميقةٍ.

٢-١. خلفيّة البحث

فيما يتعلق بخلفية البحث لا بدّ من الذكر أنّه لَمْ نعثر دراسةً حول الخطاب الحجاجي البلاغي في كلمات الإمام عليه السلام وفي هذا يكمن سرّ فرادة بحثنا، ولكن دُوِّنتْ وجُمعت أحاديثه وكلماته في مجموعاتٍ نذكر بعضاً منها وأيضاً دراسات أخرى يُشار بها:

- كتاب ((مسند الإمام الكاظم أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام))، جمعه ورتّبه الشيخ عزيز الله العطاردي في ثلاثة المجلدات؛ بحث فيه الكاتب عن حياة الإمام

الكاظمعليه السلام وما جري بينه والخلفاء المعاصرين له، وأيضاً بحث عن أخباره وأحاديثه الواردة في الموضوعات المختلفة من العقائد والأحكام والسنن والآداب ورتّبها على حسب الموضوع.

- كتاب ((الإمام الكاظمعليه السلام ضوءٌ مقهورُ الشعاع))، تأليف سُليمان كتّاني؛ وقع الكتاب في أُطُرٍ أربعة ويشمل على جذوره ونسبه وحياته ورسائله ومناظراته وأيضا اهتمّ بتراثه الفكري والروحي والاجتماعي عند الإمامعليه السلام.
- كتاب ((بلاغة الإمام موسى الكاظمعليه السلام؛ خطب، رسائل، كلمات))، تأليف أبو جعفر الكعبي؛ جمع الكاتب في كتابه رسائل الإمام واحتجاجاته وأدعيته وحكم ومواعظه.
- كتاب ((وصية الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) لهشام بن الحكم "دارسة في الفن والموضوع")) لمحمد محمود زوين، وعباس على الفحام؛ مع الأسف لم نعثر بنسخة هذا الكتاب. قد تناول فيها الباحثان موضوع العقل وعلاقاته بموضوعات الوصية وأيضاً فنون التعبير عند الإمام في الوصية واشتملت على الفنون البيانية كالتشبيه والإستعارة والكناية، والفنون البديعية كوسائل الايقاع و التقسيم. و تناول المبحث الثالث مصادر التعبير عند الإمام. هذا الكتاب قد اختلفت مع موضوع دراستنا لأنّ هذا البحث يكشف عن دور التّقنيات البلاغية في عملية الإقناع والحجاج في نصّ الإمام لإيجاد نظرة عميقة لقارئ هذه النصوص.
- كتاب ((موسوعة أهل البيتعليه السلام))، جمع الكاتب السيّد على عاشور في الجزء الرابع عشر من موسوعته سيرةَ الإمام موسى بن جعفر الكاظم وأشار فيه إلى مولده ونسبه وأخباره وحجاجاته.
- كتاب ((موسوعة الإمام الكاظمعليه السلام)) للسيِّد محمد الحسيني القزويني في ثماني المجلدات؛ بادرَ الكاتب في كتابه إلى جمع موضوعات مختلفة حول الإمام وسيرته كولادته ونسبه ووصيّته وخصوصياته الأخلاقية ووقائع حياته وحجاجاته ومواعظه وكلماته وغير ذلك.

- رسالة ماجستير معنونة بـ((دراسةٌ دِلاليةٌ للروايات التفسيرية للإمام الكاظم عليه السلام)) للطالبة طيبة شاكري، في جامعة فردوسي - إيران سنة ٢٠٠٩م، قامَتْ فيها الكاتبة بدراسة الروايات التفسيرية للقرآن الكريم عند الإمام عليه السلام.
- مقالة ((الإمام الزاهد والعابد موسى بن جعفر عليه السلام في دراسات المستشرقين)) للكاتب عبدالجبار ناجي؛ أشار فيها الكاتب إلى إسهامات مدارس الاستشراق كالمدارس الألمانية والبريطانية بخصوص سيرة الإمام الكاظم عليه السلام وحياته الاجتماعية ومكانته العلمية وغير ذلك.

٢ـ الخطاب الحجاجي البلاغيّ

يكون لعلم البلاغة الدور في إبراز أهمية الحجاج أثناء التخاطب، لأنها تركز على التحاجج لغاية إقناع المستمع، وكل حجاج يستمد معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية خطابية، ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يندمج فيه، وتبعاً لذلك يصبح الحجاج بُعداً من أبعاد الخطاب الإنساني سواء باللغة المكتوبة أو المنطوقة. الحجاج البلاغيّ هو الّذي يتّخذ من البلاغة مجالاً له، ويتّخذها أداةً من الأدوات الحجاجية؛ وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية، والأساليب الجمالية؛ أي إقناع المتلقيّ عن طريق إشباع فكره ومشاعره معاً، حتى يتقبّل القضية أو الفعل موضوع الخطاب إذ يعدّ الحجاج البلاغيّ فناً للتّعبير؛ لحيازته أدوات مؤثّرة بِقَدر تلقّيها؛ كونها إجراءات بلاغية تَمنح القيمةَ البرهانية حصانة من الهدر، كما تمنح الخطاب التعبير القويّ عن نفسه وعن الأشياء (مايير، لاتا:١٢٩). إذ يعتبر موضوع البلاغة هو وصف الطرق الخاصة في استعمال اللغة، وتصنيف الأساليب حسب قدرتها على التعبير عن المقاصد. ولتحقيق ذلك يلجأ المتكلم إلى طرق مخصوصة في التعبير، يتيح له تجاوز البلاغ إلى التأثير، وغاية البلاغة مد المتكلم بمجموعة من التقنيات التي تعتبرها ناجعة في تحقيق المقاصد.

يستعمل الحجاجُ البلاغيُّ آلياتِ البلاغة الّتي تضمّ مجمل الاستراتيجيات الّتي يستعملها المرسلُ من أجلِ إقناع مخاطبه؛ ولهذا ارتبطت البلاغةُ الجديدةُ بالحجاجِ ارتباطاً وثيقاً؛ فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الفهم والإقناع، ببناء وتصوّر تفاعليّ بين الذات المتكلمة والمخاطبين (بول، ٢٠٠٥: ٢٢). عن علاقة "البلاغة" بالحجاج نجد أنّ البلاغة الجديدة تعرّف

بأنّها نظرية الحجاج ((الّتي تهدف إلى التقنيات الخطابية، وتسعي إلى إثارة النفوس وكسب العقول، كما تهتمّ البلاغة الجديدة أيضاً بالشروط الّتي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب، ثمّ يتطوّر كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطوّر)) (الحباشة، ٢٠٠٨: ١٧). فالبلاغة كما يرى الباحث جميل عبد المجيد ((الإبلاغ المفهم المؤثر إفهاماً وتأثيراً من شأنها تحقيق الإقناع والاستمالة)) (عبدالمجيد، ٢٠٠٠: ١٢٩)، أي أنّها تركز على الغاية الّتي نريد أن نصل إليها من خلال الأدوات البلاغية؛ لأنّ الحِجاج يتّصل بالبلاغة؛ ومن غاياتها ضمان تسليم الجمهور، وإذعانه لمضمونها فـ((ليس الحجاج علماً/فنّاً يوازي البلاغة، بلْ هو ترسانة من الأساليب والأدوات يتمّ اقتراضها من البلاغة، أو من غيرها كالمنطق واللغة الاعتيادية؛ ولذلك فمن اليسيرِ الحديثُ عن اندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب، ولما كان مجال الحجاج هو المحتمل، وغير المؤكد والمتوقع، فقد كان من مصلحة الخطاب الحجاجيّ أن يقويّ طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية، والبيانية الّتي تظهر المعنى بطريقة أجلي وأوقع في النفس)) (الحباشة، ٢٠٠٩: ١٢٤).

٣ـ نبذة عن حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

وُلد أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام بالأبواء بين مكة والمدينة (خطيب البغدادي،٢٠٠١، ج١٣: ٢٧) اتفق العلماء في تحديد مكان ولادته ولكن اختلف المؤرخون في تحديد التاريخ الدقيق لولادته؛ قال بعضهم أنّه ولد سنة١٢٧ ه (طبري الصغير،١٤١٣ق: ٣٠٣) وقال أكثرهم أنّه ولد سنة ١٢٨هـ (المسعودي، ١٩٩٦: ١٩١) ومنهم من قال أنّه ولد سنة ١٢٩ه (الجهضمي،١٩٨٩: ٩٧). واختلف المؤرخون في تحديد التاريخ الدقيق لوفاة الإمام أيضا وقال أكثرهم إنّه توفّي عليه السلام سنة ١٨٣ه (اليعقوبي،١٩٦٤،ج ٢: ٣٦٠) ويكون بذلك عمره هو خمسٌ وخمسون سنة. اتفق المؤرخون أنّ الإمام عليه السلام لَمْ يَمُتْ حتف أنفه، بَل توفّي مسموماً دسّ له السم السندي بن شاهك بأمر الرشيد في الحبس (الخطيب البغدادي،٢٠٠١،ج ١٣: ٣٢). اشتهر الإمام عليه السلام بألقاب شريفة، كل لقب يمثّل صفةً بارزةً من صفاته الحميدة وسماته الرفيعة، وهي تحمل في طياتها مظهراً مِن مظاهر شخصيته منها: الكاظم والعبد الصالح وباب الحوائج والأمين والصابر والزاهر وذو النفس الكريمة والوفي والمبرهن والبيان و... (طبري الصغير،١٤١٣: ٣٤٨). أكد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كسائر الأئمة من أهل

البيت عليهم السلام على تدوين الحديث الشريف ونشر العلم، وقد عكف على ذلك تلامذته ورواة حديثه، وقد حفظت للإمام عليه السلام آثارٌ كثيرةٌ وهي بمجموعها ذات دلالة واضحة على سيرته العلمية منها:

١- مسائل على بن جعفر عليه السلام: وهي مجموعة مسائل سألها على بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب عليه السلام أخو الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وهو من الأصول المعتبرة عند الإمامية (آغا بزرك الطهراني،١٣٥٥ق،ج ٢: ٢٢٤).

٢- مسند الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: وهو رسالة تشتمل على مجموعة من روايات الإمام عليه السلام، رواها مسندة أو مرفوعة عن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، اشتملت على تسعة وخمسين حديثاً نقلها موسى بن إبراهيم، أبو عمران المروزي البغدادي عن الإمام عليه السلام، فقد سمعها من الإمام عليه السلام مشافهةً، فجمعها معتزاً بها في كتاب، عندما كان الإمام محبوساً عند السندي بن شاهك (السابق: ٢٤٠).

٣- مسند الإمام الكاظم أبي الحسن موسط بن جعفر عليه السلام: وهذا المسند يتحدث عن حياة الإمام عليه السلام، ويشتمل على مجموع رواياته وأحاديثه، مع نبذة مختصرة عن حياة رواته، جمعه ورتّبه عزيز الله العطاردي (العطاردي،١٤٠٩: ٣).

٤- رسالة الإمام عليه السلام إلى على بن سُويد السائيّ: وهي تتضمن جواباً عمّا سأله ابن سويد عن حاله وعن مسائل كثيرة (المسعودي،١٩٩٦: ٢٧٦).

٥- وصيّة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم وصفته للعقل: وهي من الثروات الفكرية الّتي أُثرت عن الإمام عليه السلام ملؤها المباحث الدقيقة في بيان حقيقة العقل، وعنايته الفائقة بتكريمه وتقديسه، حيث لا يكمل الإيمان ولا تنهج البصيرة إلّا بتحكيم العقل (العطاردي،١٤٠٩: ١٣٥).

٦- كتاب الوصية: وهو من الأصول الروائية المعتبرة، برواية عيسى بن المستفاد، أبي موسى البجلي الضرير عن الإمام الكاظم عليه السلام (السابق: ١٣٦).

٧-مكاتيب الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: جمعها محمد بن محسن الكاشاني وكذلك جمعها على الأحمدي الميانجي (الفيض الكاشاني،١٤٣١ق،ج ٢: ١٣٠).

كلّ هذه الوصايا والأحاديث والمواعظ والكلمات تبيّن للإنسان الفكرة الإسلامية والإنسانية وهي وسيلة من وسائل تحريك العقل في ساحة الصراع في جوانب العقيدة المتنوعة، وهي ما تحتاج الإنسان في حياته ليعرفَ كيف يتعامل مع المسائل.

٤ـ تقنيات الأسلوب البلاغي

كما قلنا ((إنّ البلاغة بوسائلها المختلفة لها آثار حجاجية في الخطاب غير آثارها الجمالية الأسلوبية المعروفة لآليات البلاغة بجمالياتها تستثير المرسل إليه وتستولي على ذهنه فتسوقه إلى الاقتناع بما يعرض عليه من أفكار وآراء، فكل آلية منَ الآليات البلاغية تعمل على شاكلتها وزيادة إثراء الخطاب بقيم حجاجية)) (يسعد وزميلاتها،٢٠١٧: ٤٧). فالأساليب البلاغية قد يتمّ عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية، بَلْ لتؤدي وظيفة إقناعية استدلالية. ومِن هنا يتبين أنّ معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية (الحباشة،٢٠٠٨: ٥٠). إذن اعتماد الشاعر على الأساليب الخبرية والإنشائية والمجاز والكناية والتشبيه والاستعارة والموسيقي والطباق وما إلى ذلك من وجوه البلاغة فضلاً عن إضافة الجمال والرونق على الكلام، يؤدي إلى وظيفة إقناعية ونحن سنهتم هنا بدراسة الوظائف الحجاجية التي تؤديها الصور البلاغية ضمن الحجاج.

٤-١ الأسلوب الخبري

وظّف الإمام عليه السلام الأسلوب الخبري الّذي يعتبر آلية من الآليات الحجاجية ومن الأساليب البلاغية ويظهر هذا الأسلوب في قول الإمام عليه السلام:

يا هشام إنّ العاقلَ، الذي لا يشغلُ الحلالُ شكره، ولا يغلب الحرام صبرَه (الكعبي،٢٠٠٤: ٢٥١). استعمل الإمام عليه السلام أسلوب خبري في (إنّ العاقل، الذي...)، فهو في موضع نصح للمخاطب ويدعو إلى حمدالله وشكره في وقت الغناء والفقر، ويتذكر للإنسان أنّ عنايةَ الله به وفّر له النعمات ويجب عليه أن يطيع الله في كلّ الأحوال الحياة ويبتعد من الحرام ويرجو من الله إنقاذه من الفقر. المؤكد الذي استعمله الإمام عليه السلام في كلامه (حرف إنّ والجملة الإسميّة) يفيد التحقيق والتأكيد ويؤثر في المخاطب.

يا هشام نُصبَ الحقُّ لطاعة الله ولا نجاةَ إلاّ بالطّاعة، والطّاعة بالعلم. والعلمُ بالتّعلم، والتّعلّم بالعقل يعتقد ولا علمَ إلاّ من عالم ربّانيّ، ومعرفة العالم بالعقل (السابق). يؤكد الإمام في هذه العبارات على حقيقة أنّ السعادة في إطاعة الله وهذه الإطاعة تحصل على العلم والتعلّم والتعلّم يستحكم ويشتدّ بالعقل، والإنسان في مسير التعليم يحتاج العقل لتحصيله من منبعه ودركه. صدر الإمام حديثه بحكمة بالغة وأسلوب منطقي وجذاب وتتجلي هذه العبارات للمتلقي أنّ الحقّ وإطاعته متكئ على العلم والعقل والعقل له دور مهم في تعليم العلم والعلم دون العقل والتعقل في نقصان. مارس الإمام عليه السلام هذا المنطق والترتيب من أجل غرض تأثيري وغايته شدّ الانتباه القارئ لما أتي في مضمون كلامه.

قليلُ العمل من العاقل مقبولٌ مضاعفٌ، و كثيرُ العملِ من أهلِ الهوي والجهل مردودٌ (السابق). في هذا الحديث يتحدث عليه السلام في مدح العقل والعاقل ويعلو مكان العقل وغايته تحذير المخاطب من الجهل والهوي والتأثير فيه سواء من الناحية النفسية أم العقلية.

قلَّهُ المَنطِق حكمٌ عَظِيم، فَعَلَيكم بِالصُّمتِ (المجلسي،١٤٠٤ق، ج ٧٨: ٣٢١). وظّف الإمام عليه السلام الجملة الإسمية لغرض تخصيص الكلام وتأكيده وإقناع المخاطب، فيأمره لأن يحذرَ من زيادة الكلام. و في كلامه هذا: مُجَالِسَه أَهلِ الدِّينِ شَرَفُ الدُّنيا وَ الاخرَه (السابق: ٣٨٠). استخدم من الإسمية لتخصيص كلامه وجعل مكانة أهل الدين في أعلي درجات وثمّ شرّح مكانَ الذين يجالسونَ معهم أيضاً للتحريضهم وتعريف مكانتهم التي لا شك في صحّتها.

٤-٢ أسلوب الشرط

إعتمد الإمام عليه السلام في معظم كلماته على أسلوب الشرط الذي يتم فيه الربط بين الجملة الشرطية وجوابها وهو آلية من الآليات الحجاجية البلاغية ويبدو ذلك في قوله:

إن كان يغنيك ما يكفيك، فأدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك، فليس شيء من الدنيا يغنيك (السابق:١٦٣). كوّن الحديث المسبوق من جملتين ويوجد أسلوب شرط مكون من حرف شرط ((إن)) وجملتا الشرط (كان يغينيك...../ كانَ لا يغنيك...) والجوابان مقترنان بالفاء (فأدني لأطمع...../ فليس شيء....) جواب الشرط.

يكشف الإمام عن حرص الإنسان على جمع المال وغرضه تذكير الإنسان وتحذيره من الولع والحرص بما ليس لها باقٍ.

ويقول أيضا:

مَنْ أحبَّ الدنيا ذَهَبَ خوفُ الآخرة من قلبه، وما أوتي عبدٌ علماً فازداد للدنيا حبّاً إلاّ ازداد من الله بعداً، وازداد الله عليه غضباً (السابق: ١٤٨). وغرضه هنا تحذير الإنسان من الولع أيضاً.

مَنْ صَدَقَ لسانُهُ زَكى عَمَلُهُ، وَ مَنْ حَسُنَتْ نيتُهُ زيدَ فى رزْقه، وَ مَنْ حَسُنَ برُّهُ بإخْوانه وَ أهله مُدَّ في عمره (السابق: ١٤٠). حجاجية هذا الكلام تكمن في براعة تقسيم المراتب وعلاقات بعضه على بعض؛ إذ يبعث هذا التقسيم إدهاشَ المتلقي ويرسم له كيفية حصوله على السعادة.

مَنْ كفَّ نَفْسَهُ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يومَ الْقِيامَة وَ مَنْ كفَّ غَضَبَهُ عَنِ النَّاسِ كفَّ اللَّهُ عَنْهُ غَضَبَهُ يومَ الْقِيامَه (السابق: ١٤٢).

أسلوب الشرط في هذا الكلام له قدرة بلاغية فائقة في إظهار الحجج ويقوي مضمون الكلام وأعطي لقولِ الإمام طاقةً إقناعيةً؛ وظّف عليه السلام هذه الحجّة لكي يقنع المجتمع بأنّ حفظ أعراض الناس وصيانتها واجب عند الله وفي المجتمع الإسلامي يجب على مواطنه حفظ حقوق النّاس من كلّ الجهات.

٤-٣ التقديم والتأخير

وظّف الإمام عليه السلام أسلوب التقديم والتأخير لغرض تخصيص الكلام وتأكيده وإقناع المتلقي، وفي التقديم هنا زيادة على المعنى حيث قدّم في كلامه هذا ((أَفْضَلُ مَا تَقَرَّبَ بِهِ الْعَبْدُ إِلى اللَّه بَعْدَ الْمَعْرِفَه بِه الصَّلَاةُ وَبِرُّ الْوَالِدَينِ وَتَرْكُ الْحَسَدِ وَالْعُجْبِ وَالْفَخْرِ)) (السابق: ١٤٣). عبارة ((بَعْدَ الْمَعْرِفَه به)) قدمت على ((الصلاة.....)) ولها وظيفة تنبيهيّة وهي تنبيه المتلقي على أنّ معرفةَ الله مَنبعُ كلّ الخيرات لأنّ الشخصَ الذي يعرف ربّه يميل إلى كل شيء يقرّبه إليه ويُزيّن نفسَه بكلّ شيء أمر ربُّه به.

هَلْ يكبُّ النَّاسَ على مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ وَمِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ

تَرْكُ مَا لَا يعْنِيهِ (السابق: ١٤٨).

اعتمد الإمام عليه السلام في تأكيد كلامه وإثباته على أسلوب الحصر والتقديم لأن يزيلَ شكه ويصحّ اعتقاده والاستفهام هنا تقريريٌ. وقدّم الخبر على المبتدأ في ((ومن حُسنِ.....)) للتخصيص وهذه التقنيات تساعد على إقناع المتلقي ونُصحه بترك المعاصي.

إنَّ الأَرْضَ لا تَخلُو مِنْ حُجَّةٍ، وَأَنَا وَلله ذلِكَ الْحُجَّةُ (الكليني،١٤٠٧ق، ج١: ٧٢). صرّح هذا الكلام بحجيّة الإمام ويعطي للمتلقي هذا الإطمينان أنّ أرض الله لا تخلو من حجّته وهذه الحجة تنتخب من جانب الله وأهل بيت النبي عليهم السلام أفضل النّاس لهذا الأمر وهو من هذا الأهل المكرّم ويجب على الناس أن تتابعوا مَذهبه.

٤-٤ التأكيد

استخدم الإمام في مواعظه وأحاديثه بعضَ المؤكدات لتأكيد كلامه ولها دورٌ بارزٌ في تقوية مضمون الكلام وأعطت لقوله طاقةً إقناعيةً. المؤكدات الموظفة في كلماته ((إنّ وإسمية الجملة والقصر))، وكان لذلك أثر حجاجي في إقناع المتلقي وتصحيح اعتقاداته ويظهر ذلك في قوله منها:

- إنَّ الْعَاقِلَ رَضِيَ بِالدُّونِ مِنَ الدُّنْيا مَعَ الْحِكمَهِ وَلَمْ يرْضَ بِالدُّونِ مِنَ الْحِكمَهِ مَعَ الدُّنْيا فَلذَلك رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ (المجلسي،١٤٠٤،ج٧٨: ١٥٢).
- إنَّ أهلَ الأَرْضِ مَرْحُومُونَ ما يَخافُونَ، وَأَدُّوا الأَمانَةَ، وَعَمِلُوا بِالْحَقِّ. (طوسي،١٣٦٤ش، ج ٦: ٣٥).
- لا نعلمُ شيئاً يزيد في العمر إلاّ صلةَ رحم (المجلسي،١٤٠٤، ج٧٨: ٢٣٤).
- وأيضاً قال عليه السلام عند قبرٍ حضره: إنّ شيئاً هذا آخره لحقيق أن يُزهد في أوله، وإنّ شيئاً هذا أوله لحقيق أن يُخاف آخره (السابق: ١٧٠).
- إنَّ الْعَاقِلَ اللَّبِيبَ مَنْ تَرَكَ مَا لَا طَاقَهَ لَهُ بِهِ (السابق: ١٥٥).
- فَإنَّ الطَّمَعَ مِفْتَاحُ الذُّلِّ وَ اخْتِلَاسُ (السابق: ١٥٦).

٥-٤ الأسلوب الإنشائي

الإنشاء في اللغة فهو الإيجاد والاختراع، وفي الاصطلاح البلاغيين هو ((الذي لا يحتمل التصديق والتكذيب)) (البنداري،١٩٩٠: ٥٠) وقد قسموه إلى قسمين: طلبي وغير طلبي و((الطلبي يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب)) (الخطيب القزويني، ٢٠٠٨: ١٣٥) ويشتمل على أساليب الأمر والنهي والتمني والاستفهام والنداء، أما غير الطلبي من أساليبه التعجب والمدح والذم والرجاء...، فله دورٌ بالغٌ في الحجاج حيث يثيرُ العواطفَ والأحاسيسَ ويسبّب فعلاً تأثيرياً هاماً في الحجاج. استعمل الإمام عليه السلام في كلامه من هذا الأسلوب منها:

٦-٤ الأمر

يُعدُّ أسلوب الأمر فنٌ من فنونِ الإقناع ووظّف الإمام في كلامه والمقصود منه الحثّ والتنبيه والنصح والإرشاد والهمّ فيشحذ وعي المتلقي وإحساسه بواسطته:

إِيَاكَ وَالطَّمَعَ وَعَلَيْكَ بِالْيَأْسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَأَمِتِ الطَّمَعَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ (المجلسي،١٤٠٤ق، ج٧٨: ١٥٦).

إِيَّاكَ والكسلَ والضجرَ، فإنّهما يمنعانك حظّك من الدنيا والآخرة (الكليني،١٤٠٧: ٢٩٢).

عَلَيْكَ بِالاعْتِصَامِ بِرَبِّكَ وَالتَّوَكلِ عَلَيهِ وَجَاهِدْ نَفْسَكَ لِتَرُدَّهَا عَنْ هَوَاهَا فَإِنَّهُ وَاجِبٌ عَلَيْكَ كَجِهَادِ عَدُوِّكَ (السابق)

احْذَرْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَاحْذَرْ أَهْلَهَا (السابق: ١٥٧).

إنَّ عيالَ الرجل أسراؤه، فمَنْ أنعمَ اللهَ عليه نعمةً فليوسّعْ على أسرائه، فانْ لَمْ يفعلْ أوشك أن تزولَ عنه تلك النعمة (المجلسي، ١٤٠٤،ج٦٩: ١٠١). الأفعال الكلامي التي تشير بها بخطّ في الأحاديث السابقة الأمر لكن الأفعال الإنجازي المقصود هو الإرشاد والنصح والتنبيه، فيطلب الإمام عليه السلام أن يرتسم طريق الرشدَ لمخاطبه في كلّ الجهات.

٧-٤ النهي

لا تمنحوا الجهّال الحكمة فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم (السابق: ١٥٧).

فالإمام عليه السلام في موقف نصح وَضَعَ كلامَه إلى تراتبيّة معيّنة وتوجد فيها الإنسجام من تتبّع الكلمات بواسطة حرف الفاء والواو حيث أصفي على هذه الجمل جواً من الإقناع المبهر بقوّة اتصال الكلمات الحجاجية وغرضه النصح والإرشاد إلى تشخيص مكانة الحكمة.

لا تُضيِّعْ حقَّ أخيك اتّكالاً على ما بينك وبينه، فإنّه ليس بأخ مَنْ ضيَّعتَ حقّه، ولا يكونَنَّ أخوك أقوي على قطيعك منك على صلته (السابق: ١٠٦).

فالإمام عليه السلام استعمل أسلوب النهي في قوله ((لا تُضيِّعْ)) وغرضه البلاغي النصح والإرشاد وبعدها أمر مخاطبه برعاية حقوق الأفراد، ومزج بين الأسلوب الإنشائي والخبري ((فإنّه ليس بأخ.....)) لتأكيده أكثر.

لا تَذهَبْ الحشمةَ بينك وبينَ أخيك، أبقِ منها، فإنّ ذهابَها ذهابُ الحياء (السابق، ج٧٥: ٣٢٠). وفي هنا خرج كلامُ الإمام عن غرضها الأصلي إلى المعاني المجازية وهي الإرشاد والنصح و يوصي مخاطبه إلى حفظ أعراض بعضهم على بعض وصيانتها.

٤-٨ النداء

النداء له التأثير الكبير على المتلقي و((هو من أدوات المهمة لإقبال المخاطب وتنبيهه إلى الإصغاء وسماع ما يريده المرسل في العملية الحجاجيّة)) (قلقيلة،٢٠٠١: ١٧٧). يقول سيبويه ((اعلم أنَّ النداء كل اسم مضاف فيه، فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره)) (ابن الأنباري، ١٩٨٧: ١٣٦). قد وظّفه الإمام في كلامه منها:

يا هِشَامُ! كيفَ يزْكو عِنْدَ اللَّه عَمَلُك وَ أَنْتَ قَدْ شَغَلْتَ عَقْلَك عَنْ أَمْرِ رَبِّك وَ أَطَعْتَ هَوَاكَ على غَلَبَه عَقْلك (المجلسي، ١٤٠٤ق، ج٧٨: ١٣٦).

يا هشامُ! إنّ لقمانَ قالَ لابنه: تَواضعْ للحقِّ تَكنْ أعقلَ الناسِ (الحسيني القزويني،١٤٣٦ق، ج٦: ١٢٨).

إنّ النّاس إذا أحرموا ناداهمُ اللهُ عزّ وجلَّ، فقالَ: عبادي وإمائي لأحرمنَّكم على النار كما أحرمتُم لي... (السابق: ١٢٧).

وظّف الإمام عليه السلام النداءَ في وصيته كلّها ونادي فيها الهشامَ ويخاطبه، ونحن نكتفي بذكر نموذجينِ منها. وفي الحديث الثاني، محل الشاهد في قوله: (ناداهُم/ عبادي وإمائي) حيث

وظّف الفعل الماضي ((نادي)) بدل أداة النداء وهنا ينادي الناس وهم يتبعون الحرام، كما وظّف (عبادي وإمائي) وحُذف فيها حرف النداء (ياء) بقرينةٍ، وكلّ هذه النداءات استُخدِمَتْ لإقناع المتلقي ووعيه وتنبيهه.

٩-٤ إسم الاستفهام

"السؤال" أو ما يسمّي في البلاغة "الاستفهام"، هو ((طلبُ المتكلّم من مخاطبه أن يحصلَ في الذهن ما لَمْ يكن حاصلاً عنده ممّا سأله عنه)) (سيوطي،١٩٨٥: ٤٣) ويعرِّفه الشريف الجرجاني بأنّه ((استلام ما في ضمير المخاطب)) (الجرجاني، ٢٠٠٧: ٢٦) أو ((هو حصول صورة الشيء في الذهنِ)) (السابق). كما يعرفه أحمد الهاشمي بأنّه ((طاب العلم بشيء لم‌يكن معلوماً من قبلِ بإحدي أدواته)) (الهاشمي،١٩٩٩: ٥٧). يتضح من هذه التعاريف أنَّ الاستفهام في معناه العام هو طلب العلم بأمر معينٍ، لم‌يكن -في تلك اللحظة-مدركاً لدي السائل، ومن بين أدواته: الهمزة، وهل، وما، ومن متي، وأيان، وكيف، وأنّي، وكم وأيٌ (السابق) وهو ((أكثر أدوات التخاطب فاعليّةً، للسيطرة على المخاطب)) (ميلز، ٢٠٠١: ٢١١). لكن أدوات الاستفهام قد تؤدي معاني أخرى غير السؤال، وهذه المعاني تفهم من خلال سياق الكلام ومن قرائن الأحوال (قليقلة، ٢٠٠١: ١٥٦). وهو يعد من الوسائل الحجاجية المهمة التي تحفز المتلقي، ويمكن من خلاله معرفة الموقف ضمناً أو علناً بقرائن السياق التي تثير المتلقي (الدريدي، ٢٠١١: ١٤١)، ولاسيما أن الاستفهام يرتبط بعامل القصدية، وهذه القصدية تكمن وراءها ردود أفعال منتظرة، وهذا ما يجعل الاستفهام شديد الإلزام لمشروطية الإنجاز، ومن هذا المنطلق يعرف الاستفهام الحجاجي على أنه ((نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقاً من قيمته الحجاجية)) (العزاوي، ٢٠١٠: ٥٧)، وهو مِنْ الأساليب الإنشائية البلاغية الحجاجية التي وظّف الإمام عليه السلام لإغراض مجازية منها:

كيفَ يزْكو عِنْدَ اللَّه عَمَلُك وَأَنْتَ قَدْ شَغَلْتَ عَقْلَك عَنْ أَمْرِ رَبِّك وَأَطَعْتَ هَوَاكَ على غَلَبَه عَقْلِك (المجلسي،١٤٠٤ق، ج٧٨: ١٣٧)

قال الإمام عليه السلام: ينادي منادٍ يوم القيامة: ألا مَن كانَ له على الله أجرٌ فليَقُم، فلا يقومُ إلاّ مَن عَفا وأصلح، فأجرُهُ على الله (السابق،ج٧٥: ٣٢٤).

يا هشام! إنّ العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيفَ الذنوبُ، وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفَرضِ (الحسيني القزويني، ١٤٣٦ق، ج٦: ١٣٠).

قد وظّف الإمام عليه السلام أدوات استفهام (كيف ومَن) حيث ((كيف)) في الشاهد الأولى يكون معناه المجازي العتاب والتوبيخ والتنبيه عن حال الغافلين. وفي الشاهد الثالث للسؤال عن حال العقلاء والغرض منه في كلامه ((إنّ العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيفَ الذنوبُ...)) النفي والإنكار ويكون استفهام هنا إنكارياً ويقول العقلاء لمْ يرغبوا بالدنيا وماله وزينته إذن هذا الإمساك يؤدي إلى ترك الذنوب. و ((مَنْ)) في الشاهد الثاني استُخدِم للتحريض على العمل الصالح وأيضاً تقرير حال الفريق من الغافلين الذين لا يتفكروا بآخرتهم وبما يقدموا من الأعمال.

١٠-٤ التشبيه

يعد التشبيه من الأساليب البلاغية التي تعمل على تقريب المعاني إلى ذهن المرسل إليه وإزالة الغموض عنه. والسبب في تأثير التشبيه على النفوس لأن هذه الأخيرة بما هو واضح وجلي وما هو محسوس والأخص، إذا ربطت الفكرة المراد توصيلها للمتلقي بشيء واضح ومعروف لديه ليكون مدعاة للسيطرة على العقل والإقناع، و((التشبيه هو عقد الصلة بين صورتين، ليتمكن المرسل من الإحتجاج وبيان حججه، كما يقوم التشبيه على علاقة تشابه، ويعتبر عاملاً أساسياً في عملية الإبداع حيث ينطلق من التجربة بهدف إفهام فكرة أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة وذلك بنقلها من مجال إلى مجال مغاير)) (الدريدي، ٢٠١١: ٢٢)، ((فاستعمال التشبيه في الخطاب يزيد للقوة الحجاجية العبارة اللغوية، فيؤثر المتكلم وفي نفسية المتلقي على إيجاد وجه الشبه بينهما وحينها تتجلى له الفكرة ويتضح له المعنى)) (السابق: ٢٣).

فَضْلُ اَلْعَالِمِ عَلَى اَلْعَابِدِ كَفَضْلِ اَلْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ اَلنُّجُومِ لَيْلَةَ اَلْبَدْرِ (الحسيني القزويني،١٤٣٦ق،ج٦، ٤١٠).

شبّه الإمام عليه السلام الشخصَ العالِمَ بالقمر وأيضاً شبّه الشخصَ العابد بسائر النجوم في شدة النور وقاسَ بينَهما وغرضه بيانُ فضل العالم وأهمية العلم بصورة حسية.

وأيضاً يقول:

إنّ مَثَل الدنيا مثل الحية مسّها لين، وفي جوفها السم القاتل، يحذرها الرجال ذووا العقول، ويهوي إليها الصبيان بأيديهم (السابق: ٤٢٢).

وأيضا:

مَثَل الدنيا مثل ماء البحر، كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله (السابق: ٤٢٣).

في هذين الحديثين استخدم الإمام عليه السلام من التشبيه الحسي لبيان غرضه وشبّه الدنيا بالحيّة التي ظاهره لين ولكن قاتلة ويجب على الإنسان العاقل يجتنب ويبتعد عنها. وأيضاً شبّه الدنيا مرة أخرى بماء البحر كلما يشرب الإنسان يزيد عطشه ووجه الشبه هو الهلاكة.

وأيضا:

إنّ الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار (السابق: ٤٠٢).

استخدم الإمام في كلامه التشبيه الضمني فيوجد تشبيهان؛ التشبيه الأول هو تشبيه قلب الإنسان المتواضع إلى الزرع والتشبيه الثاني هو تشبيه قلب الإنسان المتكبر الجبار إلى الصفاء ووجه الشبه هو التسليم والطغيان والرفض بالترتيب.

وقال أيضا: المؤمن مثل كفتي الميزان كلما زِيد في إيمانه زِيد في بلائه (السابق: ٤٠٨). شبّه الإمام الشخصَ المؤمنَ بكفتي الميزان ووجه الشبه زيادة البلاء والامتحان، وقصده من كلّ هذا، حاجة فنية وساعد في أداء المعنى المفترض في ذهن الخطيب وانتقالِه للمتلقيّ وتقريب فهمه.

١١-٤الطباق

تُعتبَرُ المطابقةُ من المحسنات البديعية الّتي تضفي على الكلام جمالاً ورونقاً، وتُعدُّ كذلك حجّة متوازية بين المتضادات فهي تقنية إقناعية وهي جوهر المفارقة حيثُ تساوَتْ فيها الأضداد والعدم، والحقيقة والخيال في عالم خاص بالمتناقضات (إبراهيم، ٢٠١٥: ١٦٩). مثال ذلك في قول الإمام عليه السلام:

كلِّم الناسَ، وبيِّنْ لهم الحقَّ الذي أنت عليه، وبيِّنْ لهُم الضلالةَ التي هُم عليها (المجلسي، ١٤٠٤ق، ج٥: ٧١).

إنّ المعروف لا يستتمُّ إلاّ بتعجيله، وستره وتصغيره، فإذا أنتَ عجّلته فقدْ هنّأتَه، وإذا أنتَ صغّرتَه فقدْ عظّمتَه، وإذا أنتَ سترتَه فقد أتممتَه (الإربلي،٢٠١٢، ج٢: ٢٤٢).

اتّقِ اللهَ وقُلِ الحقَّ، وإنْ كانَ فيه هلاكك، فإنَّ فيه نجاتك، اتّقِ اللهَ ودعِ الباطلَ، وإنْ كان فيه نجاتك، فإنّ فيه هلاكك (السابق: ٤٠٨).

ما استسبّ اثنان إلاّ انحطّ الأعلي إلى مرتبة الأسفل (المجلسي،١٤٠٤ق، ج٧٥: ٣٣٣).

المصيبة للصابر واحدةٌ وللجازع اثنتان (السابق: ٣٢٦).

كل هذه من المتضادات تقنية حجاجية، فهي مقابلة بين حالَتين بحجج متوازيةٍ وتركت تأثيراً إقناعياً تجلّي من خلال الجمع بين الأضداد وتؤدّي إلى تركيز المتلقّين على ما يقال ولقدْ ذكر "قدامة بن جعفر" ((إنّ صحة المقابلة هي أنْ يصنعَ الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض المخالفة فيأتي في مواقف بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشرط شروطاً ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين فيجب أن يأتي فيه ما يوافقه بمثل الذي شرطه، وعدده وفي ما يخالف بضده)) (قدامة بن جعفر، لاتا: ١٤١).

٥. النتيجة:

قد تناول الإمام الكاظم عليه السلام إلى موضوعات متنوعة خلال كلماته ووصاياه. وقد تتخذ موضوعاً واحداً متنوّع الأبعاد وهذا ما نراه فيما روي مِن وصاياه لتلميذه هشام بن الحكم الذي كان تلميذاً لأبيه. يجعل الإمام عليه السلام هذه الوصية وثيقة إسلامية للمنهج القرآني في تقييم العقل وفي مسؤولية تحريكه، وفي الأفق الواسع الذي يتحرك الإنسان من خلاله في عالم الفكر والعمل، الأمر الذي يجعل المنهج الأخلاقي يتداخل في المنهج العقلي. وقد تبين لنا أنّ لمواعظه وكلماته ووصيته قوّة استدلالية وحجاجية متينة. في مقام الرّد على السؤال الأوّل والثّاني وجدنا أنّ الإمام يوظّف الحجاج إلى إقناع المتلقيّ والتأثير عليه بشتّي الآليات البلاغية الحجاجية لينجح خطابه ويواجه القبولَ ويحرّك الهمم؛ لذا استعمل أسلوباً بلاغياً في كلامه تضمّن علم المعانيّ، والبديع، والبيان حتى يكون أقدر على التأثير في المتلقيّ. فهو

استخدم الآليات البلاغية كالأساليب الخبرية لإفادة التقرير ولإظهار حالته النفسية والإنشائية تشمل على الاستفهام، والأمر والشرط والنهي والإنكار والنداء... لإثارة ذهن المتلقي وتحريك مشاعره والأحاسيس تجاه موضوعات المختلفة الاجتماعية والأخلاقية والنفسية و... وأيضاً وظّف التشبيه والطِّباق لإيجاد قوّة إقناعية والترسيخ في ذهن المتلقيّ. فكلُّ هذه الآليات ساعدتْ على تكوين الحجاج في كلام الإمام وخلقت نوعاً من التفاعل بين المتلقي والخطاب والمرسل.

قائمة المصادر والمراجع

أولا - الكتب:

- ابن الأنباري، عبدالرحمن بن محمد (١٩٨٧)، أسرار العربية؛ تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن بابويه، محمد بن على (١٣٩٠ق)، مَن لا يحضره الفقيه، المجلد٤و٢، طهران: دار الكتب الإسلامية.
- ابن فارس، أبوالحسين أحمد (٢٠٠١)، معجم مقاييس اللغة، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ابن منظور، جمال الدين (١٩٩٩)، لسان العرب؛ بيروت، دار صادر.
- آغا بزرك الطهراني، محمد محسن (١٣٥٥ق)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، المجلد٢، النجف: مطبعة الغري.
- البنداري، حسن (١٩٩٠)، البلاغة العربية (علم المعاني)، مكتبة الأنجلو المصرية.
- اربلي،على بن عيسى (٢٠١٢)، كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام، المجلد٢، حققه على آل كوثر، بيروت: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت.
- بول، ربو (٢٠٠٥)، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؛ ترجمة محمد العمري ضمن كتابه البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، المغرب، أفريقيا الشرق.
- الجرجاني، علي‌بن محمدبن على (٢٠٠٧)، التعريفات؛ تحقيق عادل أنور خضر، ط١، بيروت، دار المعرفة.
- الجهضمي، نصر بن على (١٩٨٩)، تاريخ أهل البيت، بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
- حاجي خليفة، مصطفي بن عبدالله (لا تا)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المجلد٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- الحباشة، صابر (٢٠٠٨)، التداولية والحجاج؛ مداخل ونصوص؛ ط١، دمشق، دار صفحات للدراسة والنشر.
- ------- (٢٠٠٩)، محاولات في تحليل الخطاب؛ ط١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- الحسيني القزويني، محمد (١٤٣٦ق)، موسوعة الإمام الكاظم عليه السلام، قم: مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن على (٢٠٠١)، تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد)، المجلد ١٣، حقّقه بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمان (٢٠٠٨)، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت: المطبعة العصرية.
- الدريدي، سامية (٢٠٠٨): الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه؛ ط١، الأردن، عالم الكتب الحديث.
- -------- (٢٠١١): الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه؛ ط٢، الأردن، عالم الكتب الحديث.
- طاليس، أرسطو (١٩٧٩)، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبدالرحمن بدوي، بيروت، دارالقلم.
- الطبري الصغير، محمد بن جرير (١٤١٣ق)، دلائل الإمامة، قم: بعثت.
- طوسي، محمد بن حسن (١٣٦٤ه.ش)، تهذيب الأحكام، حققه وعلق عليه حسن الموسوي الخراساني، المجلد٦، طهران: دار الكتب الإسلامية.
- الكعبي، أبو جعفر (٢٠٠٤)، بلاغة الإمام موسى الكاظم، بيروت: دار الصفوة.
- عبدالمجيد، جميل (٢٠٠٠)، البلاغة والاتصال؛ مصر، دار غريب للطّباعة والنشر.
- العزاوي، أبوبكر (٢٠١٠)، الخطاب والحجاج؛ ط١، بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة.
- العطاردي، عزيزالله (١٤٠٩)، مسند الإمام الكاظم عليه السلام، ط١، مشهد: المطبعة الآستانة المقدسة الرضوية.
- الفيض الكاشاني، علم الهدي (١٤٣١ق)، معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة عليهم السلام، قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

- قدامة بن جعفر، أبو الفرج (لا تا)، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- قليقلة، عبدالعزيز (٢٠٠١)، البلاغة الاصطلاحية؛ ط٤، القاهرة، دار الفكر العربي.
- الكلينى، محمد بن يعقوب (١٤٠٧ق)، الكافي، صحّحه على أكبر غفاري ومحمد آخوندي، المجلد١، طهران: دار الكتب الإسلاميّة.
- مايير، ميشال (لاتا)، البلاغة والحجاج؛ ترجمة محمد على القارصي ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى يوم)، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.
- المجلسي، العلامة محمد باقر بن محمد تقي (١٤٠٤ق)، بحار الأنوار: الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، صحّحه محمد باقر المحمودي، المجلد٧٨-٧٥-٦٩، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- محمد الأمين، محمد سالم (٢٠٠٠)، مفهوم الحجاج عند بيرلمان، وتطوره في البلاغة المعاصرة؛ الكويت، عالم الفكر.
- المسعودي، على بن حسين (١٩٩٦)، اثبات الوصية للإمام على بن أبي طالب، ق: مؤسسة أنصاريان.
- ميلز، هاري (٢٠٠١)، فنّ الإقناع، ط١، رياض: مكتب جرير.
- الهاشمي، محمد على (١٩٩١)، العروض الواضح وعلم القافية؛ ط١، دمشق، دار القلم.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (١٩٦٤)، تاريخ اليعقوبي، قدّم له وعلق عليه محمد صادق بحر العلوم، المجلد٢، النجف: منشورات المكتبة الحيدرية.

ثانيا - الأطاريح الجامعية:

- إبراهيم، بن إبراهيم (٢٠١٥)، الإقناع والتخييل في شعر أبي العلاء المعري؛ أطروحة لدرجة الماجستير، جامعة وهران.
- يسعد، أسماء ومقرع، لامية (٢٠١٧)، الآليات الحجاجية البلاغية في رباعيات عمر الخيام، مذكرة للحصول على شهادة الماستر في اللغة العربية، درجة الماجستير، جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي.